الله أكبر ما أجلَّ إنعام الله!

الله أكبر ما أرشد هداية الله!

الله أكبر والعقل يعجز عن شكر الله!

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه ومصطفاه.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

وأوصي نفسي وأوصيكم بتقوى الله، فهو القائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فقد أوجب ربنا تبارك وتعالى بفضله وكرمه في شهر رمضان على عباده الصيام، فساقهم بمنته إلى تقواه، وندبهم فيه إلى القيام، فعمَّر قلوبهم بأنواره وهُداه، فلما أقبل العيد كان عنوانَ نقاء وطهارة.

أقبل العيد وهو يحمل رغبة فيهم، بعد العبادة الروحية الشائقة، أن ينتقلوا إلى عبادة عملية فاعلة ومُنتِجة، وما سُمِّي العيدُ عيدًا إلاَّ لعَوده، وعَودُ العيد في ثقافتنا الإسلامية لا يعني التكرير المُستنسَخ في الصورة والمضمون، لكنه وإن تكرر في بعض صوره فإنه مُتجدد في مضموناته.

فالإسلام - كما يفهم العقلاء الذين يتدبَّرونه ويقرؤونه قراءة فاهمة واعية - يدعوهم إلى التطوّر والارتقاء، ويأبى أن يكون عَود العيد تكريرًا لمحفوظ جامد.

وقد أخرج الديلمي حديثًا وفيه: (مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ).

نعم أيها الأحبة، إن المؤمن الذي يصدق في إيمانه وإسلامه لا تكون حياته أيامًا متساوية، ولا يأتي في زمانه عيدان متطابقان، لأنه يفهم أن دينه يدعوه إلى تواصل الارتقاء.

وقد قال أجدادنا العرب في أمثالهم: "**والعَودُ أحمدُ**"، والعودُ: البدء الثاني.

وهكذا كان تراثنا ينبض بالرغبة في أن يكون العَود مختلفًا عن سابقه.

إن تراثنا الذي مدحه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: (بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ)، يدعو أن يكون العَودُ أحمدَ من سابقه، وها نحن في عود العيد.

فعَود العيد يعني تجدُّدًا، ويعني إبداعًا، ويعني زيادة سَيْر نحو الحضارة والنهضة.

وعَود العيد بهذا المفهوم يقتضي المراجعة، لأن المراجعة ميزانٌ يستطيع الإنسان من خلاله أن يرى عَود العيد في حياته ومسيرته، فالظروف متغيرة، والأزمان تحمل في طياتها كلَّ يوم جديدًا، والأمة الواعية هي الأمة التي تتابع مسيرتها إلى النهضة، وتبقى رافضة أن تتراجع إلى الوراء، مهما كان الظرف المحيط عصيبًا.

أقول هذا والظروفُ التي تحيط بأقاليمنا ظروفٌ عصيبة، فعالمنا يمر اليوم بظرفٍ كأنه لم يُسبَق من قبل.

ولعلي أقرأ سببين كبيرين من الأسباب في سياق المراجعة التي يطلبها عَود العيد:

١ - مؤامرات تُحاك في الأقاليم القريبة والبعيدة.

٢ - الانحراف المعرفيّ الذي لا صلة للإسلام به: الذي يزعم بعض من ينتحله أنه مُنتسِب فيه إلى الإسلام، وهذا يتطلب من النُّخَب جهدًا فاعلاً ومُنتجًا، حتى نعيد الإنسانَ، في الساحة الإسلامية خصوصًا وفي العالم عمومًا، إلى توازنه المعرفيّ الذي أراده الله سبحانه وتعالى له، وهو القائل: { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } [الرحمن: ٧-٩].

عَود العيد في مراجعاته يدعو الفرد إلى مراجعة ذاتيّة في سلوكه الخاصّ وفي سلوكه العامّ، ويدعو الأسرة والأرحام في تزاورها الذي اعتادته في عَود العيد أن تراجع علاقاتها وما تقتضيه من تكافل اجتماعيٍّ وأُسَريّ..

عَود العيد يطلب من الأصحاب والأصدقاء وهم يهنئون بعضهم بعضًا أن يكونوا في مراجعةٍ لروابطهم ومقتضياتها الإنسانية..

عَود العيد الذي يلتقي فيه المواطنون مع أصحاب المسؤولية في لقاءٍ ما هو إلاَّ مراجعةٌ وطنية نتساءل فيها جميعًا عن واجباتنا أمام ربنا ووطننا ووحدتنا الوطنية، التي هي درعنا الحصين أمام المؤامرات التي تُحاك كل يوم من أجل تفريغ هذه الأمة وتقسيمها وتجزيئها وبذر بذور الشر فيها..

وإن أمة تلتزم بإيمانها بربها، وبحبها لوطنها، وبتمسكها بوحدتها الوطنية، أمةٌ لا يستطيع أعداؤها مهما حاولوا أن يُفرِّقوها أو أن يصرفوها عن أهدافها النبيلة.

مثل هذا اللقاء يُنتج مع عَود العيد تجدُّدًا في الأفكار، ويُنتج من بعدها أداءً عمليًّا فاعلاً ومُنتِجًا، يجعلنا جميعًا في لقاءٍ حميميّ نسعى فيه ونُجدِّف في المركب الواحد تجديفًا مشتركًا، حتى يبقى هذا الوطن المبارك في أرض الشام شامخًا مُعتزًّا بإيمانه بالله، ومُعتزًّا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له، الذي دعا في يوم من الأيام: **(اللهم بارك لنا في شامنا).**

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.